موقف الكويت

من التوسع السعودى فى نجد وسواحل الإحساء

للدكتور جمال زكريا قاسم

أستاذ مساعد التاريخ الحديث بجامعة عين شمس

سنعنى فى هذه الدراسة بتتبع مراحل التوسع السعودى فى سواحل الإحساء وما ترتب عليها من تهديد لإمارة الكويت . ولما لم يكن للكويت حدوداً مقررة أو متفق عليها فى المراحل الأولى من عمليات التوسع السعودى فقد ترتب على ظهور السعوديين فى السواحل الشمالية من مقاطعة الإحساء تهديداً خطيراً لكيان الإمارة من الناحية الجنوبية ، هذا بالإضافة إلى أنه نجم عن الإغارات السعودية المتكررة اضطرار قبائل كثيرة إلى الاندفاع من ساحل الإحساء إلى الكويت محتمين بحكامها أو ملتجئين إليهم مما ترتب على ذلك مشكلات قبلية حادة بين الكويت والسعودية .

ويستدل مما لدينا من المصادر المحلية التى تعرضت لنشاط السعوديين فى المقاطعات الشرقية للجزيرة العربية أن التحركات السعودية الأولى على سواحل الإحساء ظهرت بشكل واضح فى السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر ، وبالتحديد منذ عام ١٧٨٥ حينما وجه السعوديون هجماتهم ضد أسرة بنى خالد ، وهى قبيلة من أقوى القبائل العربية التى كانت تقطن السواحل الشمالية من الخليج العربى فى ذلك الوقت ، وكان سلطانها يمتد من شبه جزيرة قطر جنوباً حتى البصرة شمالا بمحاذاة ساحل الخليج من ناحية ووسط الجزيرة العربية من ناحية أخرى . ولما كانت تنتشر انتشاراً كبيراً فى الصحراء فقد أتاح لها ذلك السيطرة على طرق القوافل التجارية التى تسلك الطريق بين بغداد ونجد(١). ولقد بقيت هذه القبيلة التى ظهرت إلى مجال السيطرة منذ أوائل القرن السادس عشر ، ونمت فى شبه تنظيم سياسى خلال سنوات القرن السابع عشر تتمتع بدرجة كبيرة من القوة خاصة أن امتلاكها لمقاطعة الإحساء مكنت لها قدراً كبيراً من الثروة نتيجة لما تشتهر به الإحساء من واحات خصيبة وكان مما يضيف إلى رخائها الزراعى انتعاشها من الناحية التجارية إذ أن موانى الإحساء كالقطيف والعقير كانت تعد بدايات صالحة لانطلاق القوافل التجارية إلى نجد

---

(١) جاكلين بيرين — اكتشاف جزيرة العرب ص ١٦٥ .

وأواسط الجزيرة العربية .ولذلك كانت الإحساء مطمع أنظار سكان نجد إذا ماحل ببلادهم الجدب وقد أبدى شيوخ بنى خالد فى مناسبات كثيرة عدائهم للحركة الوهابية منذ أن قامت وكانوا على جانب كبير من القوة بحيث كان فى مقدورهم أن ينقلوا المعركة دائماً إلى قلب نجد واستمر وضعهم على ذلك حتى بدأ مركزهم يتعرض للانهيار السريع نتيجة للصراعات الأسرية التى أخذوا يتعرضون لها والتى يرجح أن يكون للسعوديين دخلا كبيراً فى إثارتها . وقد اشتد التحركات السعودية على سواحل الإحساء فى الفترة ما بين ١٧٨٥ و ١٨٩٣ وتميزت بطابع شديد من الإرهاب والقسوة(١) . حقيقةأن الصراع بين الوهابيين وبنى خالد بدأ منـذ أوائل النصف الثانى من القرن الثامن عشر ولـكنه لم يتضح إلا فى السنوات الأخيرة من ذلك القرن . وقد أمدتنا المصادر المحلية التى تعرضت للتحركات السعودية ببعض التفصيلات الخاصة بذلك الصراع . وقد يكون من المفيد فى هـذا الصدد الرجوع إلى كتابات ابن بشر(٢) وحسين بن غنام وسيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب المعروفة بلمع الشهاب .

وفى عام ١٧٦٣ نجح السعوديون فى الإطاحة بنفوذ بنى خالد . ذلك أن أسرة بنى خالد كانت قد وصلت إلى درجة كبيرة من الإعياء الداخلى فضلا عن أنها أصبحت غير قادرة نتيجة لعوامل الضعف التى تمكنت منها أن تتصدى للتحركات السعودية المتتالية التى اشتدت فى ضراوتها .

ومما لا شك فيه أن بنى خالد كانوا الحاجز الـكبير الذى حفظ الـكويت من الخطر الوهابى حتى نهاية القرن الثامن عشر غير أنه بسقوط بنى خالد صار إخضاع السعوديون للـكويت بعد عام ١٧٦٣ أمر كثير الاحتمال . وبالفعل شهدت السنوات التالية لسقوط الأسرة هجمات سعودية متكررة على الـكويت اشتدت فى عنفها طوال فترة إقامة الوكالة الإنجليزية التابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية بالـكويت عقب انتقالها من البصرة فى الفترة ما بين سنتى ١٧٩٣ و ١٧٩٥ .

وكان من الطبيعى أن يطالب السعوديون بتسلطهم على ممتلـكات بنى خالد ويعنى

---

(١) أحمد مصطفى أبو حاكمة : تاريخ الـكويت ، الجزء الأول ، إصدار لجنة الـكويت ص ٢٢٧ — ٢٢٨ .

(٢) عثمان بن بشر : عنوان المجد فى تاريخ نجد ج ١ ص ١٠٨ وما بعدها .

ذلك أن تصبح الكويت منطقة من مناطق النفوذ السعودى على الساحل الشمالى للخليج . ولكن استمرت إمارة الكويت محتفظة بوضعها المستقبل فى وقت كانت فيه القوة السعودية هى القوة المتسلطة على سواحل الخليج العربى . بل وأكثر من ذلك يمكن أن نذهب — وهذا فى تقديرنا الشخصى — أن سقوط أسرة بنى خالد كان عوناً كبيراً فى انطلاق الكويت نحو مرحلة جديدة من مراحل استقلالها .

ولمناقشة ذلك يمكن أن نركز على ناحيتين هامتين :

الأولى ، علاقة الكويت بأسرة بنى خالد .

والثانية ، العوامل التى أدت إلى احتفاظ الكويت باستقلالها عن السعوديين رغم تداعى نفوذ بنى خالد .

فى تقديرنا أنه يمكن اعتبار سقوط حكومة بنى خالد مبدءاً للعلاقات بين الكويت والسعوديين ولا يمكن اعتباره بأية حال بداية خضوع الإمارة للنفوذ السعودى ويمكن أن نوضح هنا حقيقة هامة وهى أنه على الرغم من أن شيوخ الكويت كانوا يقدمون ولاءهم منذ أن تأسست إمارتهم فى النصف الأول من القرن الثامن عشر لشيوخ بنى خالد إلا أن ذلك الولاء لم يكن إلا من الناحية النظرية(١) ، على الرغم مما تتفق عليه المصادر المحلية أن سيطرة بنى خالد كانت تمتد إلى الكويت الذى ينسب تأسيسه إلى أحد زعماء هذه الأسرة ويدعى براك ، بناه فى بداية الأمر على شكل حصن صغير(٢)، وحينما قدم آل صباح من أفلاج نجد استقروا فى هذه المنطقة حيث استولوا على هذا الحصن أو سمح لهم آل خالد بالبقاء فيه وتعميره حيث اتخذوا منه

---

(١) يقرر نيبور بصدد ذلك أن النزاع كان يدور دائماً بين الكويتيين المتمسكين باستقلالهم وبين شيخ الحسا المطامع فى احتلال الكويت وإذا ماوجه هذا الشيخ جيشه إلى الكويت لإخضاعه هجرة أهله إلى جزيرة فيلكا كما يؤكد أنه على الرغم من أن شيخ الكويت كان يتبع شيخ الإحساء إلا أنه كان يمارس استقلاله فى أحيان كثيرة .

Of. Carsten Neibuhr, Travels Through Arabia & Other Countries in the East, Vol. II, p. 103 ff.

أنظر أيضاً : جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب — ص ١٦٤ .

(٢) عبد الله حاتم : من هنا بدأت الكويت .

منطلقاً لإنشاء إمارتهم(١) . وعلى الرغم من أن آل صباح تمكنوا من ممارسة نفوذهم المستقل فى مستقرهم الجديد إلا أنهم كانوا فى المراحل الأولى من بدء استقرارهم يرتبطون بشكل أو بآخر بنوع من التبعية لحكام بنى خالد ، ولذلك كان من المتوقع حينما داهمت بنى خالد الغزوات السعودية فى الفترة من ١٧٨٥ إلى ١٧٩٥ أن يبادر آل صباح لنجدتهم لما كان يقضى به العرف أن يتقدم التابع لنجدة متبوعه ، ولكن الشيخ عبد الله بن صباح كان متردداً بين أمرين :

الأول ، تقديم العون لبنى خالد ومعنى ذلك أن يستمر على ولائه لهم .

والثانى ، مساعدة السعوديين فى إسقاط الأسرة ، ومما لا شك فيه أنه كان يقدر أن الأمر الثانى سيترتب عليه انطلاق الكويت فى إحدى المراحل الهامة لتحقيق استقلالها وتخلصها من تبعيتها لبنى خالد ، إلا أن الشيخ عبد الله كان يدرك فى نفس الوقت قوة الضغط السعودى خاصة فى هذه المرحلة التى اندفع فيها السعوديون بشكل تعصبى بالغ بهدف نشر الدعوة الوهابية فى سواحل الخليج العربى وما قد يترتب على ذلك بالضرورة من تعرض إمارته لخطر مجاورتها لنفوذ السعوديين فى الإحساء ، وبالفعل بدأت الكويت تتعرض بشكل واضح منذ عام ١٧٩٣ لمناوشات سعودية خاصة حينما قدم القائد السعودى إبراهيم بن عفيضان بجماعة من قبائل الخرج والعارض والسدير واستحوذ على قدر كبير من الأسلاب ، ولذلك حرص الشيخ عبد الله أن يبدو فى مسلكه وقوفه على الحياد فى الصراع الدائر ولكن من المؤكد أنه كان يتعاطف مع القوتين المتشابكتين ، وهما العثمانيين وبنى خالد ، فى صراعهما ضد السعوديين . وكان تقدير شيخ الكويت أن مشيخته تتمتع باستقلال ذاتى فى ظل العثمانيين وبنى خالد ولكنه لا يضمن أن تستمر إمارته متمتعة بذلك الاستقلال فى ظل السيطرة السعودية على أنه من ناحية أخرى كان حريصاً على ألا يظهر من تقديم الكويت عونها للعثمانيين وبنى خالد تأكيداً لتبعيتها لهاتين القوتين ولذلك رأى أن يكتفى بتقديم المساعدات لشيخ المنتفق الذى كلف من قبل والى بغداد بإعداد قوات

---

(١) راجع فى ذلك عثمان بن سند : سبائك المسجد ص ١٨ .

والغناعى : صفحات من تاريخ الكويت ص ١٠/١٢ وبشىء من التفصيل يمكن الرجوع إلى مقالة الأب انستاس الكرملى عن الكويت فى مجلة المشرق — العدد العاشر ص ٤٥ لسنة ١٩٥٢ .

كبيرة لمقاتلة السعوديين بالتحالف مع شيوخ بنى خالد وبالفعل وضع الشيخ عبد الله جميع إمكانيات الكويت البحرية فى خدمة العمليات الحربية واستخدمت السفن الكويتية لنقل قسم كبير من قوات الشيخ ثوينى إلى الإحساء ، وإن لم تكن النتيجة طيبة على أية حال إذ تفرقت هذه القوات وقتل ثوينى فى إحدى المعارك الطاحنة التى نشبت بينه وبين السعوديين[١] وعقب ذلك نجح السعوديون فى الاستيلاء على الإحساء وتأكيد نفوذهم فى القاطعات الشرقية للجزيرة العربية وترتب على ذلك أن أصبحت الكويت ملامسة للقوة السعودية التى أخذت تتاخمها من الجنوب . وعلى الرغم من أن الكويت استفادت من سقوط أسرة بنى خالد فى التخلص من الارتباط الذى كان قائماً بينها وبين هذه الأسرة فى عهد الشيخ صباح الأول إلا أن شيوخ الكويت أخذوا يتعرضون لهجمات سعودية عنيفة[٢] .

وفى تقديرنا أن وجود الوكالة البريطانية فى الكويت فى الفترة من ١٧٩٣ إلى ١٧٩٥ كان له أثر كبير فى حماية الكويت من السقوط فى قبضة السعوديين . وقد انتقلت الوكالة من البصرة إلى الكويت نتيجة الصعوبات والعقبات التى وضعتها السلطات العثمانية فى وجه الوكالة البريطانية[٣] .

ويمكن التركيز بصدد ذلك أن حادثة انتقال الوكالة إلى الكويت كانت تؤكد فى حد ذاتها استقلال الكويت عن الدولة العثمانية . وكان القائم بأعمال الوكالة آنذاك هو المستر مانيستى Manisty الذى رأى حماية للوكالة من الضغط السعودى أن يبقى طراداً صغيراً فى ميناء الكويت ، كما وضعت فرقة حرس من الهنود يقودها ضابط هندى على الشاطىء . والجدير بالذكر أن الوثائق الرسمية البريطانية قد حرصت على أن ينفى نفياً قاطعاً قيام الوكالة البريطانية بأى دور فى صد السعودية عن الكويت تمشياً مع السياسة البريطانية العامة التى كانت تقرر عدم التدخل فى الصراعات الداخلية فى الخليج العربى . وأن الوكالة كانت حريصة على أن تقف موقف الحياد فى

---

(١) حسين بن غنام : روضة الأفكار والأفهام ج ٢ ص ١٦٥ وما بعدها .

(٢) ج. لولا يمارج : دليل الخليج ج ٣ ص ١٥٠٨ الدوحة ١٩٦٧ .

(٣) Kelly, Britain and the Persian gulf, London 1928.
Cf. Chapter I, the Persian Gulf in Late Eighteenth

الصراع بين السعوديين والكويت خوفاً على بريدها الصحراوى من أن يتعرض لانتقام السعوديين ... وهذه الآراء وغيرها نجدها فى كتاب المستر Brydges عن الوهابيين والذى أكد فيه أكثر من مرة أن أهالى الكويت هم الذين دافعوا عن الإمارة وأن شيخها الوقور هو الذى نجح بعدله وسماحته من أن يجنب إمارته الخضوع للسعوديين[1] . ولكننا مع ذلك نجد بعض المصادر الأخرى تؤكد على حدوث مساعدة انجليزية للكويت ضد السعوديين وتستند فى ذلك على ماذكره أحد الموظفين فى الوكالة البريطانية ويدعى رينود Reinaud من أن المستر مانيستى القائم بأعمال الوكالة البريطانية فى الكويت أصدر أوامره خلال عمليات الغزو السعودى للكويت ١٧٩٥ بإنزال مدفعين من الطراد الإنجليزى وطلب من الجنود الهنود الاشتراك مع أهالى الكويت فى صد السعوديين عن الإمارة ، وكان رد الفعل المتوقع مهاجمة السعوديين لبريد بريطانيا الصحراوى مما كان سبباً فى رحلة رينود إلى الدرعية حينما كلف من مانيستى بمقابلة الأمير السعودى فى عاصمته . وقد اشتهر رينود بأنه كان أول أوربى يزور عاصمة السعوديين الأولى .

وتتفق آراء بعض الباحثين على الأخذ بالرواية الثانية لأن الوكالة البريطانية كانت بطبيعة الحال تخشى على أموالها المودعة بالكويت فيما لو حدث غزو وهابى ، والتى كانت ستصبح غنيمة مشروعة فى عرف الوهابيين باعتبارها من «أموال الكفر» وفضلا عن ذلك فقد كان التزاماً أدبياً من الوكالة البريطانية أن تعبر عن اعترافها بجميل الشيخ عبد الله حينما أفسح لها مكاناً فى بلاده .

وعلى الرغم من أن السعوديين استمروا فى مواصلة عملياتهم الانتقامية ضد الكويت ابتداء من عام ١٧٩٥ إلا أن هذه المناوشات لم تؤد إلى نتيجة إيجابية أخضعوها لسلطتهم فى الإحساء إلى تحول طريق تجارة الهند إلى أوسط شبه الجزيرة واستطاعت الإمارة خلال السنوات التالية أن تحرز انتصارات اقتصادية هامة ضد السعوديين حينما أدت المشاكل والحروب المستمرة بين السعوديين والقبائل التى

---

(١) Brydges, sir Harford Jones An Account of His Majesty's mission to the court of Persia 1809-1808, To which is appended a brief History of the Wahanby, Vol. 2, p. 12.

أخضعوها لسلطتهم فى الأحساء إلى تحول طريق تجارة الهند إلى أواسط شبه الجزيرة العربية[١] عن مجراه المعتاد مروراً بالإحساء إلى البصرة والكويت ، إذ أصبح هذان الميناءين يستخدمان بدلا من موانى القطيف والعقير مدخلا لشبه الجزيرة العربية مما أثار السوريون وجعلهم ينظرون بقلق بالغ إلى منافسة الكويت لموانى الاحساء بل ومطالبتهم بنصيب من الأموال ، وبالفعل أعدوا حملة كبيرة للاغارة على الكويت فى عام ١٨٠٨ ولكن أهالى الكويت نجحوا فى مقاومة الحصار الذى فرضه السعوديون عليهم وتمكنت الإمارة أن تبقى بمنأى عن النفوذ السعودى الذى بلغ درجة كبيرة من الانتعاش فى تلك الفترة وإن استمر الخطر السعودى مع ذلك جاثماً عليها . وهذا يفسر لنا شدة ترحيب شيخ الكويت بالتقدم الذى أحرزته القوات المصرية التى زحفت على نجد وأسقطت الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى فى عام ١٨١٨ ، بل إن بعض المصادر تؤكد مساعدة الشيخ جابر حاكم الكويت لابراهيم باشا القائد المصرى أثناء حصاره الدرعية . ولكن تقدم القوات المصرية بعد إخضاعها نجد صوب سواحل الاحساء أدى بالضرورة إلى قيام علاقات بين مصر والكويت .

وتؤكد المصادر الرسمية التى تناولناها أنه فى عام ١٨٣٨ حينما وصلت القوات المصرية بقيادة خورشيد باشا إلى سواحل الإحساء أرسلت وكيلا عنها ليقيم فى الكويت على أنه وكيل لشراء الإمدادات اللازمة للقوات المصرية ، ولاشك أن خورشيد باشا كان فى حاجة شديدة إلى الاستعانة بأسطول الكويت التجارى الذى كان — كما تردد فى أكثر من مصدر — أسطولا كبيراً ومجهزاً تجهيزاً طيباً ، وإن لم يثبت لنا مع ذلك استفادة القوات المصرية بالأسطول الكويتى بدرجة كبيرة باستثناء شحنة وحيدة من الذخيرة والعتاد وصلت إلى القوات المصرية خلال احتلالها للاحساء حملتها التى القطيف سفينة كويتية من ميناء الحديدة على ساحل البحر الأحمر[٢] .

على أنه لم يلبث أن اتضح الهدف الحقيقى من إقامة الوكيل المصرى بالكويت

---

(١) كانت طرق القوافل وسيلة من الوسائل الهامة لنقل البضائع من الهند إلى أوربا . حيث كانت تمر من الخليج إلى أواسط الجزيرة العربية ومنها إلى حلب وقد أمدنا رحالة القرن الثامن عشر بوصف تفصيلى لهذا الطريق الذى كان يعرف بالطريق الصحراوى العظيم.
انظر : أبو حاكم : تاريخ الكويت الجزء الأول ص ٢٧٠ وما بعدها .

(٢) ج.ج. لوريمار : دليل الخليج .. المجلد الثالث ص ١٥١٥ الدوحة ١٩٦٧ .

وهو أن يكون مبعوثاً سياسياً وجامعاً للأخبار المتعلقة بنجاح خطة خورشيد باشا قائد القوات المصرية فى انتزاع العراق من الدولة العثمانية وذلك بإعداد حملة لغزو العراق من الجنوب . وكان شيخ الكويت يعامل المندوب المصرى معاملة ممتازة إذ كان يمنحه مقعد الشرف دائماً فى كل مجالسه .

وتذكر الوثائق البريطانية أن الشيخ جابر حاكم الكويت الذى عاصر تقدم القوات المصرية كان صديقاً للحكومة البريطانية ، ولكن حدث خلال إقامة الوكيل المصرى أن عامل مسئولا بريطانياً وهو الليفتانت أدموندز معاملة تجافى اللياقة وذلك وجوده بالكويت للمفاوضة بشأن إنشاء خط بريدى عبر صحراء نجد ، بين الكويت إلى البحر المتوسط . وتضيف المصادر البريطانية أن حكومة الهند لم تجد مع ذلك ثمة ما يلزم لمعاقبة الشيخ على تصرفه هذا ، مبررة أن الأمر لم يصدر عن نوايا سيئة ولكنه يهدف خداع الوكيل المصرى . وإن كنا لا نتفق مع هذا التبرير إذ أن شيخ الكويت لم يختلف عن بقية أمراء ورؤساء الخليج فى شدة ترحيبه بالتقدم المصرى صوب سواحل الخليج تخلصاً من الضغط البريطانى من ناحية وتعاطفاً مع القوات المصرية التى حققت انتصارات كبيرة فى أواسط الجزيرة العربية ، والتى كانت تهدف فى تقديرنا تحقيق الوحدة بين إمارات الخليج العربى[1] . وأغلب الظن أن الحكومة البريطانية لم تر ما يلزم لإيجاد أسباب لتوتر العلاقات بينها وبين الكويت خاصة عقب انسحاب القوات المصرية من الخليج وشبه الجزيرة العربية فى عام ١٨٤٠/١٨٤١ ، ولذلك آثرت ألا تقوم بعمل من شأنه إحداث جفوة فى العلاقات القائمة بينها وبين الكويت .

وعقب انسحاب القوات المصرية من نجد كانت الفرصة مواتية لكى يقفز إلى الحكم السعودى عبد الله بن ثنيان الذى أطاح بالحاكم السعودى السابق خالد بن سعود مستغلا كراهية الأسرة السعودية له لقبوله حكم بلاده تحت الحكم المصرى . وقد أعقبه فى الحكم فيصل بن تركى ١٨٤٣/١٨٦٦ وفى عهده حققت الإمارة السعودية الثانية

---

(١) جمال زكريا : اقاسم الخليج العربى ص ٦٥ ، القاهرة ١٩٦٧ .

أقصى توسعها فى منطقة الخليج العربى خاصة حينما أخضعت الإحساء واتخذت من الهفوف قاعدة للاغارة على بقية الإمارات العربية ، فأجبرت البحرين على دفع الجزية واستسلم حاكم قطر وقبل بدوره ، ومنع الزكاة للسعوديين ، كما نمت القوة البحرية السعودية ووصلت إلى درجة كبيرة من التفوق إذ قدر أسطول السعوديين فى ذلك الوقت بثلثمائة سفينة حربية(١) . ولكن مما يستلفت النظر أن موجة المد السعودى رغم اشتدادها لم تصل إلى إمارة الكويت إذ نجح حكامها إلى حد كبير فى الاحتفاظ بعلاقاتهم الودية مع السعوديين حتى أن هذه الإمارة لم تدفع الزكاة السنوية لهم على الرغم من شدة سطوتهم . والواقع أننا لا نجد تعليلا مقبولا لذلك . ومما يزيد الموقف غموضاً أن الكويت كانت تشكل مغنما عليها للسعوديين خاصة وأنها لم تكن قد ارتبطت حتى ذلك الوقت بمعاهدة مع بريطانيا على غرار غيرها من إمارات الخليج الأخرى التى اضطر السعوديون إلى تخفيف ضغطهم عليها عقب التصريح الذى انتزعه الانجليز من الإمام فيصل بن تركى فى عام ١٨٦٦ بعدم الاعتداء على الإمارات التى تربطها ببريطانيا معاهدات خاصة ، بل وأكثر من ذلك كان شيوخ الكويت يتحصلون بانتظام على نصيبهم من تجارة القوافل المارة بين الكويت ونجد كما كانت مواسم الحج تحدث انتعاشاً كبيراً فى الإمارة .

وعلى الرغم مما تذهب إليه بعض المصادر من أن حكام الكويت استمروا منذ انسحاب القوات المصرية من الجزيرة العربية حتى عهد مبارك بن الصباح سنة ١٨٩٦ لا يبدون أى اهتمام بالأوضاع القائمة فى نجد طالما كانوا يتحصلون بانتظام على نصيبهم من التجارة العابرة إلا أننا نخالف هذا الرأى ونؤكد على اهتمام حكام الكويت بما كان يجرى من أحداث فى نجد خاصة خلال فترة الصراع الأسرى التى أعقبت وفاة الإمام فيصل بن تركى فى عام ١٨٦٦ . إذ توقفت خلال هذه الفترة العلاقة بين حاكم الكويت وبين عبد الله بن فيصل الذى كان أخوه الأصغر سعود ينافسه فى الحكم وتمكن بالفعل من انتزاع الإمارة لنفسه . ومن ذلك يمكن أن نذهب فى الرأى أن اتجاه شيخ الكويت لتقديم المساعدة لقوات مدحت باشا عند احتلالها

---

(١) راجع فى ذلك تقرير الكولونيل بلى إلى الرياض فى عام ١٨٦٦ . نقلا عن :
Aitchicon, a Collection of Treaties, Engagements and Sands relating to India & Neighbouring Countries, Vol. XI, Persian Gulf, p. 44.

للاحساء لم يكن مجرد طاعة للدولة العثمانية ، وإنما كان ذلك يتفق مع مصلحة الكويت وأمنها فى معاونة شيخ الكويت حليفه الأمير عبد الله ضد أخيه سعود خاصة وأن مدحت باشا خلال المراحل الأولى من حملته على الإحساء كان حريصاً على إعلان الأمير عبد الله بالولاية على نجد[١]، ومن ناحية أخرى قدر شيخ الكويت أن مساعدته للحملة العثمانية ستؤدى إلى تخلص الكويت من سيطرة الأمير سعود على السواحل المتاخمة لإمارته من الجنوب ، ومما يؤكد ذلك أن الكويت أصبحت بالفعل هدفاً لإغارة الأمير سعود فى عام ١٨٧٢ هدد الأمير سعود مدينة الكويت ولكن الشيخ استطاع رد الهجوم بعد أن استدرج أنصاره بعيداً أو تمكن من أن يرغمه على الفرار . وحوالى عام ١٨٨٤ وكان واضحاً أن شيخ الكويت يناصر أمراء شمر من آل الرشيد الذين بد = مراعهم ضد السعوديين[٢] .

وفى خلال الحكم العثمانى للأحساء ١٨٧١ — ١٩١٣ نمت إمارة الكويت وانطلقت فى التوسع جنوباً على حساب الحكم العثمانى الذى تميز بالضعف العام[٣] ، وفى عهد الشيخ مبارك بن الصباح الذى ولى الحكم فى الفترة من ١٨٩٦ إلى ١٩١٥ استطاعت إمارة الكويت أن تنتهز فرصة الأوضاع المضطربة فى نجد لتحقيق نجاح ملحوظ من التوسع على حساب الصراع الذى كان قائماً فى هذه الفترة بين آل رشيد وآل سعود . وتفصيل ذلك أن الشيخ مبارك عمل على احتضان القضية السعودية فى مراحلها الأولى[٤] ، وكان يهدف من ذلك الاستعانة بالأسرة السعودية فى توسيع

---

(١) انظر إعلان من مدحت باشا موجه إلى أهالى نجد فى ٢٠ إبريل ١٨٧١ .
Cf. Essau to Pelly 197/7/1871.
Enclosure from Assistant Resident at Bahrei to the Resident in the Persian Gulf.
India Office Political & Secret Department, Letters from the Persian Gulf.

(٢) ج.ج. لوريمار : دليل الخليج ج ٣ ص ١٥٢٣ .

(٣) عرضت لنا الرحالة آن بلنت فى رحلتها إلى نجد التى قامت بها فى عام ١٨٨٠ صورة للحكم الراهن الذى يميز به الحكم العثمانى فى ساحل نجد .
Cf. Blunt, Lady Anne, Apligrimage to Nejd, Vol. II, 265-268, London, 1881.

(٤) حافظ وهبه : شبه جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ٢٥٨ القاهرة ١٩٥٦ .

إمارته على حساب الدولة العثمانية وآل رشيد فى نجد ولـكن ما كاد الأمير عبد العزيز ينجح فى استرداد الرياض ١٩٠١ حتى أدرك جيداً أطماع مبارك مما كان له أثر كبير فى توتر العلاقات بينهما . وقد وصل هذا التوتر إلى درجة كبيرة هددت بانفجار الموقف بين السعودية والـكويت فى الأيام الأخيرة من حكم الشيخ مبارك .

ويمكن تتبع العلاقات بين الـكويت ونجد منذ سقوط الأسرة السعودية عقب معركة المليداء سنة ١٨٩١ والتى بدأ فى أعقابها أن الحـكم فى نجد قد استقر لآل رشيد ولذلك عندما تولى الشيخ مبارك حكم الـكويت فى عام ١٨٩٦ رأى أن يستعين بمن تبقى من أفراد الأسرة السعودية لتحقيق توسعاته فى نجد على حساب آل رشيد وعلى هذا النحو نصل إلى مرحلة هامة من المراحل التى مرت بها العلاقات بين الـكويت ونجد وهى المرحلة التى تميزت بمحاولة الـكويت التوسع فى أواسط الجزيرة العربية ولـكنها ووجهت بآل رشيد ومن ورائهم الدولة العثمانية . وقد أدت الأوضاع القلقة بين الـكويت وآل رشيد فى نجد إلى ملحمة من أقوى الملاحم العسكرية التى وقعت بين القوى المحلية فى نجد والخليج العربى وهو معركة الصريف فى عام ١٩٠١[1] .

ويتفق الرواة على أن أسباب هذه المعركة ترجع إلى اتجاه الشيخ مبارك إلى تحقيق رغبته فى التوسع فى نجد فى الوقت الذى بدأت فيه الـكويت تعانى من ضائقة التدهور الاقتصادى الذى طرأ عليها نتيجة إغارات قبائل ثمر المستمرة وتهديدهم طرق القوافل التجارية فضلا عن قطع طريق الحج إلى مكة . ووضح أن السبب فى تدهور العلاقات بين الـكويت ونجد حقد آل رشيد على الشيخ مبارك احتضانه من تبقى من زعماء الأسرة السعودية فضلا عن التحريضات التى كان يلقاها آل رشيد من الدولة العثمانية التى ظهر بالتالى حقدها على الشيخ مبارك لارتباطه بمعاهدة مع الإنجليز سنة ١٨٩٩ وعدم إعلان ولائه صراحة لها . وقد وجد الشيخ مبارك مؤيدين له من بعض القوى المحلية فى الخليج كالشيخ سعدون شيخ المنتفق ، نظراً للعداوة التقليدية بينه وبين قبائل ثمر ، كما لقى الشيخ مبارك تأييداً من أمراء بريدة

---

(١) British Admirality, Hand Book of Arabia, Vol. I, p. 29, London, 1916.

وعنيزة فى القصيم آل سليم وآل مهنا ، إلى جانب قبائل مطير والعجمان القاطنية فى الإحساء هذا بالإضافة إلى المساعدات البحرية التى أسداها إليه صديقه الشيخ خزعل خان شيخ المحمرة . ولذلك تمكن مبارك أن يحرز انتصارات ملحوظة فى التحركات الأولى من ذلك سقوط مقاطعة العارض التى أسند إدارتها للأمير عبد العزيز ابن سعود الذى كان يرافقه فى حملته ، كما نجحت القوات الكويتية وخلفائها من القوات الأخرى إسقاط العضيم ، ولكن عند بئر صغير على مقربة منها نشبت معركة بين الفريقين انتهت بهزيمة الكويت هزيمة أليمة وأصبح الطريق أمام آل رشيد مفتوحاً لإسقاط الكويت خاصة بعد أن أشيع مقتل الشيخ مبارك فى المعركة . ولم ينقذ الكويت من المصير الذى كان من المؤكد أن تنساق فيه إلا مراوغة مبارك السياسية الذى سارع بالذهاب إلى الفاو ليبرق إلى الدولة العثمانية بولائه لها ، وأجابته الدولة العثمانية على شعوره الموالى بإصدارها فرمان أكدت فيه اعتباره قائمقاماً رسمياً على قضاء الكويت[١] . ولم يكتف الشيخ مبارك بذلك بل إنه اضطر إزاء ضغط عبد العزيز آل رشيد وحصاره لإمارته أن يطلب المساعدة من البحرية البريطانية التى كانت ترقب تطور الأوضاع على مقربة من ميناء الكويت[٢] وعلى الفور هرعت ثلاثة بوارج بريطانية إلى الميناء لنجدة سكان الكويت مما اضطر قوات آل رشيد على أثر وصولها إلى التراجع عن غزو الكويت[٣] .

وعلى الرغم من نجاح الأمير عبد العزيز بن سعود فى العام التالى من معركة الصريف من استرداد الرياض فإن خطر آل رشيد ظل ماثلا أمام الكويت وهذا

---

(١) وضح أن الشيخ مبارك قد ارتبط فى عام ١٩١٠ بولاء مزدوج للدولة العثمانية وبريطانيا وقد اتفقت الدولتان فى ذلك الوقت على المحافظة على الوضع الراهن فى الكويت راجع فى ذلك :

Télégramme de sublime porté au représentant ottoman à Londres 919/1901 cf. Gooch and Temperly, British Documents on the Origins of the War, vol. X, Part II, p. 49, see also Memorandum respecting Koweit, p. 7 ff., F.O. 78-5174.

(٢) Rouire, La question du Golfe Persique, Le règlement de Mascate et de Koweit, pp. 370-371.

(٣) Cf. Memorandum Respecting Koweit, pp. 14-16, Foreign Office 78-5174.

يفسر لنا حرص الشيخ مبارك على تقديم مساعدات فعالة للأمير عبد العزيز بن سعود ومعاونته فى توطيد دعائم حكمه وتزويده بالخطط العسكرية التى تعينه فى التخلص من غريمه ابن الرشيد . وقد استمرت المساعدات الكويتية تصل إلى الأمير عبد العزيز فى نجد ، سواء كانت مساعدات كويتية خالصة أو مساعدات بريطانية كانت تصل إلى عبد العزيز عن طريق الكويت ، حتى مقتل الأمير عبد العزيز بن الرشيد فى روضة المهنا فى عام ١٩٠٦ .

ويتضح لدينا من مراقبة تطور الأوضاع بين الكويت ونجد أن المساعدات التى كانت تقدمها الكويت لآل سعود كانت تهدف بها أساساً استغلال التنافس بين آل سعود وآل رشيد لتحقيق قدر من التوسع الإقليمى فى أواسط نجد على حساب الطرفين المتصارعين . وفى عام ١٩٠٤ دخل العثمانيون كعنصر هام فى هذا الصراع وذلك بمساندتهم لحلفائهم من آل رشيد[٣] . ويستدل من الروايات المختلفة المتعلقة بتاريخ نجد إرسال الدولة العثمانية قوة عسكرية قامت من البصرة متجهة إلى أواسط نجد بهدف معاونة آل رشيد بيد أن هذه القوة لم تلبث أن ووجهت بهزيمة شنيعة على يد ابن سعود وحلفائه فى التصميم ، فأعد العثمانيون حملة أخرى فى العام التالى ١٩٠٥ وهنا وجد شيخ الكويت أن الفرصة سانحة ليمرض وساطته بين الأطراف المتنازعة وبالفعل عقد اجتماع هام فى صفوان أعقبه اجتماع آخر قرب آبار الكاشانية فى المنطقة بين الكويت والبصرة فى عام ١٩٠٥ حيث اجتمع عبد الرحمن بن سعود بمخلص باشا والى البصرة وبحضور الشيخ مبارك أمير الكويت . وفى هذين الاجتماعين بحثت عدة اقتراحات من قبل والى البصرة كانت تهدف إلى إبقاء القصيم منطقة عازلة بين آل سعود وآل رشيد على أن يكون فيها للدولة العثمانية حامية عسكرية فى كل بريدة وعنيزة حتى يتم إقرار الصلح النهائى بين حائل والرياض .

---

(١) كانت الحكومة البريطانية تراقب تدخل الدولة العثمانية فى الصراع بين آل رشيد وآل سعود وقد بادرت بتعيين أول وكيل سياسى لها فى الكويت وهو الكابتن نوكس لمراقبة الأوضاع فى أواسط الجزيرة العربيه وإن كانت تحرص على ألا يسترعى وجود هذا الوكيل انتباه السلطات العثمانية .

Cf. Letter from Curzon to John Fodrick 191-1-1905, India Office Political and External Files 11-3-546, Doc. No. 18.

وعلى الرغم من موافقة الأطراف المعنية على هذه الاقتراحات إلا أنها لم توضع قط موضع التنفيذ ويرجع ذلك إلى اضطرار الدولة العثمانية سحب حامياتها العسكرية من أواسط نجد لمواجهة متطلبات الموقف العسكرى فى اليمن الناجم عن الثورة التى قامت فى عام ١٩٠٤ . وهكذا أصبح الموقف قائماً دون حل تقريباً وإن كان قد ظهر من خلال ذلك شدة استياء الأمير عبد العزيز بن سعود من شيخ الكويت الذى لم يسانده فى موقفه . والثابت لدينا أنه على الرغم من أن شيخ الكويت قد عرض الوساطة على كل من الدولة العثمانية وآل سعود وآل رشيد إلا أنه رفض القيام بدور إيجابى لصالح حليفه ابن السعود ، وقد أحدث ذلك استياء من قبل الأمير عبد العزيز عبر عنه بإرسال ممثلين من قبله صحبة القوافل النجدية التى تكتال من الكويت بهدف استيفاء الرسوم المقررة على التجارة قبل مغادرتها الكويت ، وانسيابها فى صحراء نجد. وقد قام بهذا التصرف دون أن يشاور شيخ الكويت بشأنه مما كان سبباً لاستياء الشيخ مبارك الذى عد هذا التصرف نكراناً لجميله واعتداءاً على سلطته . وردا على ذلك أخذ مبارك يبدى تقارباً ملحوظاً مع الأمير عبد العزيز الرشيد بل وطلب منه فى إحدى الرسائل التى كان يبعث بها إليه أن يرسل من قبله مبعوثاً لكى يتفاوض معه فى عقد معاهدة من شأنها التضييق على الأمير عبد العزيز ابن سعود والوقوف ضد خططه التوسعية فى نجد . وبالفعل أمكن فى عام ١٩٠٥ الوصول إلى اتفاقية سرية بين الطرفين نصت على أن يلتزم الشيخ مبارك جانب الحياد التام فى حالة نشوب الحرب بين آل رشيد وآل سعود ، ووضح أن الشيخ مبارك كان يرمى من وراء تشجيعه آل رشيد تحقيق أهداف ثلاثة :

أولهما — تقليل نفوذ ابن سعود فى نجد الذى أصبح يشكل خطرا على الكويت.

وثانيهما — إحباط مساعى خصمه العنيد يوسف الإبراهيم الذى كان يقلقه وينازعه فى الحكم وذلك بتأييده لقضية أبناء أخوة الشيخ مبارك . والذى كانت تربطه روابط صداقة بآل رشيد .

وثالثهما — استحواذه على رضا الدولة العثمانية حينما تعلم بمصافاته لحليفها ابن الرشيد[١] .

---

(١) حسين خلف الشيخ خزعل : تاريخ الكويت السياسى ، ج ٣ ؛ ص ١٨٦ بيروت ١٩٦٢ .

وعلى أثر توقيع تلك الاتفاقية التى بدأ منها انحيازاً واضحاً من قبل الكويت لآل رشيد ، أخذت الكويت تقدم مساعدة فعالة لآل رشيد من ذلك تشجيع الشيخ مبارك للبدو ، الذى كان يملك عليهم تأثيراً خاصاً ، فى الاعتداء على القبائل التابعة لابن سعود وبثه الدعاية بين أعراب نجد مشجعاً أياهم على التمرد على سلطة عبد العزيز بن سعود .

ولكن قوة عبد العزيز بن سعود الصاعدة فى أواسط نجد مكنته من التصدى لآل رشيد وإحاقة الهزيمة بهم فى العام التالى ١٩٠٦ وقتل الأمير عبد العزيز ابن الرشيد فى روضة المهنا[١] . وأصبح الموقف يحتم على الكويت أن تساند بكل قوتها قضية آل رشيد أكثر من أى وقت مضى خاصة بعد أن تداعت قوتهم فى نجد ومات حليفهم يوسف الإبراهيمى الذى عرف بعدائه الشديد لمبارك .

وغداة وصول متعب بن الرشيد إلى الحكم أرسل إليه مبارك يهنئه بالإمارة ، ويعزيه فى وفاة والده ويقرر أن حائل والكويت شقيقتان ومصلحة البلدين واحدة ويطلب منه التعاون معه فى تخليص نجد من سلطة السعوديين التى تخشاها الكويت بقدر ما تخشاها حائل . بيد أن هناك إجماع بين المصادر التى تناولناها أن الشيخ مبارك كتب إلى عبد العزيز بن سعود فى نفس الوقت يؤكد له أنه مستعد لتقديم المساعدة له للقضاء على حكم آل رشيد ويهنئه بالانتصار عليهم فى روضة المهنا . وتضيف هذه المصادر أنه حدث خطأ فى تبادل هذه المراسلات مما كان سبباً لإحراج مركز مبارك .

ومع ذلك فقد بدأ فى عام ١٩٠٦ محاولة الشيخ مبارك أن يجعل من نفسه محكماً فى النزاع بين آل سعود وآل رشيد وذلك بإعداده مشروعاً خيالياً لتقسيم وسط الجزيرة العربية بحيث يصبح جبل شمر وما حوله ملكاً لآل رشيد ومعظم أجزاء نجد الجنوبية لآل سعود بينما يستولى لنفسه على القصيم وممتلكات السعوديين

---

(١) Philip Graves, The Life of Sir Percy Cox, p. 105 ff., London, 1951.

فى كل من وشم والسدير والدواسر . وظهر أن إمارة الكويت — بذكاء شيخها ودهائه الذى وصفه البعض بأنه يقرب من دهاء ريشيلية — أصبحت بالفعل القوة المسيطرة على الموقف فى المقاطعات المتأخمة لها فى أواسط الجزيرة العربية ، وأخذت قوافل الحج تنساب من الكويت إلى مكة بسلام بعد أن كانت قد انقطعت منذ عدة سنوات نتيجة طبيعية للحروب المتواصلة فى نجد . وقد قدر الخارجين للحج فى عام ١٩٠٦ بأكثر من ألف نسمة(١) .

على أن مشروع التقسيم الذى كان يدور فى مخيلة مبارك لم يلبث أن قضى عليه الأمير عبد العزيز بن سعود قضاءاً مبرماً حينما سارع بوضع الشيخ أمام أمر واقع وذلك باستيلائه على القصيم وإعلانها مقاطعة تابعة له . وكان سقوط القصيم يعنى خضوع أواسط نجد للسلطة السعودية كما كان يعنى فى نفس الوقت أن الطريق قد أصبح مفتوحاً لتوسعات سعودية فى شرق الجزيرة العربية وأصبحت ضرورات الموقف تحتم على الشيخ مبارك أن يعود مرة أخرى إلى أساليب المراوغة التى اشتهر بها وذلك بإظهار صداقته للأمير عبد العزيز الذى بدأ نجمه يبزغ إلى مجال القوة والسيادة فى أواسط الجزيرة العربية . وبالفعل أبدى الشيخ مبارك فى ذلك الوقت تقارباً ملحوظاً مع الأمير عبد العزيز حينما حاول أن يظهر بطريقة عملية أنه لا يزال عوناً له فى تخليصه من مشاكله ، وقد بذل فى هذا الموقف بالذات جهوداً ملحوظة فى الوساطة فى النزاع الذى نشب بين الأمير عبد العزيز وبين أقاربه من العرائف حينما قام هؤلاء بثورة أسرية تزعمها بعض المطالبين بالحكم للفرع الأكبر من أحفاد عمه سعود فى مقاطعتى الخرج والحريق ١٩١٠/١٩١١(٢) .

وفى عام ١٩١٣ كان مركز عبد العزيز قد أصبح قوياً بدرجة تمكنه من فتح الإحساء فانتهز فى ذلك فرصة انشغال الدولة العثمانية فى حروبها فى البلقان واضطرت الدولة العثمانية إلى التفاوض معه . ولكن الشيخ مبارك كان قلقاً

---

(١) لوريمار : دليل الخليج ج ٣ ص ص ١٥٦٣ — الدوحة ١٩٦٧ .

(٢) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ، دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ إلى ١٩١٤ ص ٣٠٩ — القاهرة ١٩٦٧ .

لاستيلاء عبد العزيز على الإحساء معتقداً أن أطماع الأمير لن تتوقف عند حد وقد أبدى استياءه وشدة لومه للدولة العثمانية التى تخلت عن الإحساء دون مقاومة(١) ، وعدم إطلاعة على نتيجة المباحثات التى دارت بينها وبين بريطانيا فى لندن والتى تناولت الكويت وغيرها العربى من إمارات الخليج العربى(٢) .

ومرة أخرى يحاول الشيخ مبارك أن يظهر بمظهر الوسيط الذى يمكن أن يسوى عن طريقه النزاع بين عبد العزيز والدولة العثمانية بشأن الإحساء ، ولا شك أنه تشبث فى القيام بذلك الدور حتى يضمن تسوية الأمور بالشكل الذى يروقه . بيد أنه — الأمير عبد العزيز — لم يخف عليه ما كان يقصده الشيخ مبارك من إصراره على أن يكون اجتماع التوفيق فى الكويت ، وهو ألا يكون للأمير عبد العزيز الرأى البات سيما إذ أجمع مع مبارك فى مجلس واحد ولذلك رفض عبد العزيز الحضور إلى الكويت مفضلا أن يعقد الاجتماع فى الصبحة وهى قرية تقع بين الكويت والإحساء(٣) .

وكان يرأس الوفد العثمانى السيد طالب بك نقيب الأشراف فى البصرة وقد وصل الوفد أولا إلى الكويت حيث أمضى وقتاً فى ضيافة مبارك ثم انتقل إلى الصبيحة وقد أوفد مبارك ابنه جابر لمقابلة الوفد السعودى بيد أن الشيخ مبارك لم ينجح هذه المرة فى سياسته ذات الوجهين التى حاول اتباعها بالنسبة للدولة العثمانية والأمير عبد العزيز إذ فطن الفريقان إلى حقيقة ما يرمى إليه مبارك الذى أرسل كتاباً إلى الأمير عبد العزيز برفقة ابنه جابر يؤكد له ضعف الدولة العثمانية ويحذره من الانصياع لمطالب الوفد العثمانى فى الوقت الذى كان يؤكد فيه للوفد العثمانى

---

(١) صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى — ص ٢٥٠ — القاهرة سنة ١٩٦٦ .

Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, vol. I, p. 269 ff., Gooch and Temperby.

وكذلك :

British Documents on the Origins of the War (1871-1914), vol. X, Part II, [illegible] ff.

(٣) حسين خلف الشيخ خزعل : تاريخ الكويت السياسى جـ ٣ ؛ ص ٣ ٢ — بيروت ١٩٦٢ .

ضعف عبد العزيز ، وعدم مقدرته على مواجهة الدولة العثمانية فضلا عن التهوين من شأنه .

ولذلك أصبح واضحاً من التسوية التى تمت بين عبد العزيز والدولة العثمانية أن الكويت خسرت معركة الصبيحية السياسية بعد أن أصبح النفوذ السعودى حقيقة معترف بها رسمياً فى الإحساء . ذلك أن اتفاقية الصبيحية عام ١٩١٤ نصت على إلحاق منطقة الحسا بإمارة نجد واعتبار الاثنتان ولاية واحدة من ولايات الدولة العثمانية على أن يكون الأمير عبد العزز والياً وقائداً عاماً واسع الصلاحيات مع احتفاظه بحق إنشاء قوات عسكرية بهدف حفظ الأمن داخل الولاية . وفى هذه المناسبة أغدقت الدولة العثمانية على الأمير لقب باشا ، وقدم ناظر الحربية أنور باشا وساماً إلى الأمير عبد العزيز مشفوعاً بتهنئة رقيقة على إخلاصه للدولة[١] .

وتذكر المصادر السعودية أن الأمير عبد العزيز لم يقدم على التفاهم مع الدولة العثمانية إلا تفادياً للمشاحنات وليقطع على الانجليز أية محاولة للسيطرة على الإحساء لأن الدولة العثمانية خلال مباحثاتها مع الانجليز فى ذلك الوقت كان لا يمكن أن تتنازل عن الإحساء[٢] . أما الدوائر العثمانية فقد رحبت بعقد تسوية مع الأمير عبد العزيز لأن من شأن هذه التسوية تجنيب الأمير الارتباط بأية معاهدة مع الانجليز ، وإن كانت ظروف الحرب العالمية الأولى التى اندلعت فى ذلك الوقت مكنت للأمير عبد العزيز تجاهل ارتباطه بالدولة العثمانية وينحاز إلى جانب الانجليز .

وعلى الرغم من أن الشيخ مبارك قد اضطر إلى أن يبعث إلى الأمير عبد العزيز يهنئه بتوصله إلى اتفاق مع الدولة العثمانية إلا انه فى نفس الوقت كان يتحين الفرصة للايقاع بالنفوذ السعودى الذى عده يشكل خطراً على إمارته . وأخذ الشيخ ينحاز أكثر من أى وقت مضى إلى آل رشيد وظهر ذلك واضحاً خلال المعركة التى

---

(١) جمال زكريا قاسم : الخليج العربى : دراسة لتاريخ الإمارات العربية ص ٣١١ القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها أوحاضرها ج ٢ ص ١٥٨/١٥٩ — بيروت ١٩٥٧ .

نشبت بين الأميرين وعرفت باسم موقعة أجراب ١٩١٥ . ولكن نتيجة المعركة أقرب ما تكون إلى التعادل بين الطرفين المتصارعين . وكان من سوء حظ مبارك أن انكشفت سياسته ذات الوجهين التى كان يتبعها حينما وقعت فى أيدى آل رشيد حافظة أوراق ابن سعود والتى يحتمل كثيراً أن يكون قد تعمد وقوعها فى أيدى أعدائه ، وكان بها رسالة من الشيخ مبارك يحرضه فيها على آل رشيد وفى نفس الوقت الذى كان يحرض فيه آل رشيد على ابن سعود[١] وكان من نتيجة ذلك أن أرسل الأمير متعب بن الرشيد قلة من جنوده أغارت على أطراف الكويت . كما توترت العلاقات أيضاً فى أعقاب معركة أجراب بين الكويت وابن سعود وظهر ذلك واضحاً حينما انتهزت قبيلة العجمان فرصة ضعف عبد العزيز وحاولت استرجاع ما كان لها من نفوذ على الإحساء ذلك النفوذ الذى كانت تتمتع به خلال الحكم العثمانى الواهن .

وقد خشى عبد العزيز من مواجهة ثورة العجمان خوفاً من التجائهم إلى الكويت وبذلك يتيح الفرصة لمبارك أن يستعين بهم عليه ولذلك لم يتقدم لقمع ثورة العجمان إلا بعد أن انتزع وعوداً مؤكدة من الشيخ مبارك بألا يمنحهم حق اللجوء أو الاحتماء به فى حالة وصولهم إلى إمارته .

وكان من حسن حظ الأمير عند العزيز تأييد الحكومة البريطانية له فى سياسته التى كانت تهدف إلى تقويته على خصومه من آل رشيد لكى تخفف من حالات الضغط التى كان يقوم بها القبائل الموالية للشريف حسين وحتى تشغله عن هذا الاتجاه طلبت من الشيخ مبارك أن يمد الأمير عبد العزيز بقوة تساعده على قهر قبائل العجمان كيما يتفرغ لآل رشيد[٢] ، واضطر الشيخ مبارك أن يقدم بالفعل مساعدته لعبد العزيز لقهر ثورة العجمان ويبدو أنه فعل ذلك بعد أن قدمت له الحكومة البريطانية وعوداً خاصة بحماية إمارته من أى ضغط يقع عليها من قبل المقاطعات الخاضعة لعبد العزيز فى الإحساء . وإن كان الشيخ مبارك — فيما هو ثابت

---

(١) عبد العزيز الرشيد : تاريخ الكويت ج ٢ ص ١٨٢ — بغداد ١٣٦ .

(٢) Philby, Sa'udi Arabia, p. 274.

لدينا — لم يكن مخلصاً فى تقديم المساعدة ويمكن أن نستدل على ذلك من التعليمات التى زود بها قائد جيشه الشيخ سالم بعدم معاونة عبد العزيز ضد العجمان فى حالة انتصارهم عليه إذا غلبهم ابن سعود فنحن معه وإذا هم غلبوه فلا تساعدهم فى حالة انتصارهم عليه «إذا غلبهم ابن سعود فنحن معهم وإذا هم غلبوه فلا تساعدهم عليه» .

وحينما انتصر عبد العزيز على العجمان أفسح لهم مبارك مكاناً فى بلاده فوردها قسم كبير منهم وأخذوا يبيعون ما نهبوه من الإحساء فى أسواق الكويت[١] ، مما جعل عبد العزيز يتذرع بمطاردته العجمان لغزو الكويت . ولم ينقذ الإمارة من الهجوم السعودى ألا تدخل الحكومة البريطانية وموت الشيخ مبارك فى أواخر ذلك العام ١٩١٥[٢] .

ووضح التدخل البريطانى لحماية الكويت وغيرها من إمارات الخليج من التوسع السعودى بعقد بريطانيا اتفاقية دارين ١٩١٥ مع الأمير عبد العزيز آل سعود وقد اعترفت فى هذه المعاهدة بتبعية نجد والإحساء والقطيف والجبيلى وملحقاتها والموانى التابعة لها على ساحل الخليج للأمير عبد العزيز وباعتباره حاكما مستقلا على هذه الأراضى ورئيساً مطلقاً على جميع القبائل الموجودة بها وتعترف لأبنائه وأعقابه من بعده بذلك بشرط ألا يكون أى منهم ضد المواد التى نصت عليها الاتفاقية وقد تعهد ابن سعود من جانبه بألا يتداخل فى أراضى الكويت والبحرين وإمارات الساحل العمانى التى تربطها ببريطانيا معاهدات خاصة . والجدير بالذكر أن عبد العزيز استمر ملتزماً بشروط هذه الاتفاقية ومحافظاً على العلاقات السلمية خلال سنى الحرب العالمية الأولى . ولكن لم يلبث أن حدث خرق صريح من جانبه لهذه الشروط فى أعقاب الحرب العالمية الأولى إذ انتهز فرصة امتناع الحكومة البريطانية عن دفع الإعانة السنوية التى كانت تدفعها له توفيرا لنفقاتها مما كان سبباً

---

(١) حافظ وهبة : شبه جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ١٥٨ — القاهرة سنة ١٩٥٦ .

(٢) حلل عبد العزيز الرشيد فى كتابه تاريخ الكويت أسباب العداء بين ابن سعود والشيخ مبارك ج ٢ ص ١٨٠ — طبعة بيروت .

فى استئناف نشاطه على سواحل الخليج متعللا بحاجته إلى المال . وكانت لا بد من اصطدامه بالكويت وبغيرها من إمارات الخليج . ذلك أن الأمير عبد العزيز على الرغم من سلطته أصبحت مؤكدة على الإحساء وبدأ يتخذ من موانيها منفذاً طبيعياً لإمارته إلا أنه لم يلبث أن اتضح لديه أن إمارة الكويت تنافس موانى الإحساء منافسة اقتصادية بعيدة المدى كما تأكد لديه أيضاً أن جميع القبائل النجدية تؤثر فى معاملاتها التجارية الكويت على الموانى الأخرى التى خضعت للادارة السعودية فى سواحل الإحساء . وقدر عبد العزيز مدى الخسارة المادية التى تلحق به لعدم تمكنه من الاستفادة بموانى الجبيل والقطيف وغيرها ولذلك بذل عدة محاولات لإجبار البدو التابعين له على الاكتيال من موانى الإحساء بيد أنه لم يجد ترحيباً منهم فى ذلك . ولم يلبث أن أدرك أن نتيجة هذا التضييق الشديد هو تعرضه لأزمة اقتصادية لا تقل عن الأزمة التى يمكن أن تتعرض لها الكويت ولذلك أبدى استعداده أن تستمر الكويت فى التعامل مع نجد بشرط استيفاء الرسوم الجمركية على الأموال التى تخرج منها إلى نجد لحسابه الخاص ولكن حكام الكويت رفضوا أن يكونوا مخلصين أو جباة ضرائب لعبد العزيز(١).

ومما ساعد على استمرار التوتر فى العلاقات بين نجد والكويت هجرات العجمان المتوالية إلى الكويت ولجوئهم إلى حكامها ناشدين الأمن من تعقب قوات عبد الله ابن جلوى لهم . ولم يلبث أن انفجر الموقف بين نجد والكويت حينما برزت إلى الوجود مشكلة الحدود بين البلدين وظهر ذلك واضحاً خلال عهد الشيخ سالم بإمارة الكويت الذى بات فى يقينه أن تحركات ابن سعود المستمرة على أطراف الكويت الجنوبية إنما يستهدف بها القضاء على الاتفاقية الانجليزية التركية الموقعة فى يوليو سنة ١٩١٣ والتى أصرت الحكومة البريطانية رغم هزيمة الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى أن تعتبره متحملا التزاماتها باعتباره وريثاً فى ولاية نجد وسواحلها . ولذلك أخذ الشيخ سالم يشدد أحكام الإدارة المباشرة بل والصارمة فى كثير من الأحيان على إمارته تفادياً لحالة التهديد التى أخذ الكويت تتعرض

---

(١) راجع مشكلة المسابلة بين نجد والكويت فى مؤلف أمين الريحانى : ملوك العرب ، أو رحلته فى البلاد العربية جـ ٢ ص ١٦٢ ١٦٤ — بيروت ١٩٢٩ .

لها من قبل القبائل التابعة لابن سعود ، كما عمل سالم فى نفس الوقت على تطبيق إدارته على القبائل القاطنة فى الجنوب بين الإحساء والكويت .

وكان الشيخ سالم على درجة كبيرة من القلق خشية طموح عبد العزيز وتابعه فى ذلك الوقت فيصل الدويش وخاصة بعد أن بلغته أنباء المعركة التى دارت بين عبد العزيز وقوات الشرافة فى تربه سنة ١٩١٩ ولذلك عزم على تثبيت الحدود بين الكويت والحسا[١] وكان يرى أن تنتهى حدود الكويت الجنوبية عند نقطة تبعد من قلب الإمارة بنحو مائة وخمسين ميلا ومن هذه النقطة تأخذ خطاً مستقيما نحو الشرق أى بمحاذاة ساحل الخليج الغربى بحيث تنتهى عند دوحة البلبول وكانت هذه المنطقة تتميز بغزارة مياهها وصلاحيتها لمرسى السفن وقربها من مناصات اللؤلؤ ولذلك كانت كثيراً ما تفد إليها العشائر الكويتية لرى ماشيتها . ورأى سالم تثبيتاً لحقوق الكويت تشييد قلعة ويتخذ من دوحة البلبول ميناءاً صغيراً ينافس به ميناء الجبال ، ولما بلغ الأمير عند العزيز مايقوم به الشيخ سالم أمر تابعه ابن شقير بالإستيلاء على جربا العليا ، وهى مكان يقع إلى الشمال الغربى من دوحة البلبول وبالفعل بدأت جماعات من الإخوان تصل إلى المنطقة وشرعوا فى تأسيس بعض الهجر فيها ومعنى وصول السعوديون إلى جربا العليا وهو وضوح الرغبة للتعدى على المقاطعات الأساسية لإمارة الكويت . ولذلك كان لا مفر أمام سالم من الاستنجاد بالانجليز وبالفعل قدم الانجليز العون إلى الكويت حينما وجهوا إنذاراً للأمير عبد العزيز عن طريق المأجور مور المعتمد السياسى فى الكويت وقد جاء فى ذلك الإنذار أن الحكومة البريطانية لا تعترف بممتلكات الأمير عبد العزيز إلا فى داخلية الحدود المقررة لولاية نجد فى نطاق الاتفاق الانجليزى التركى السابق توقيعه بينها وبين الدولة العثمانية فى يولية ١٩١٣ . وإن عليه الالتزام بهذا الاتفاق والجدير بالذكر

---

(١) لم يلق موضوع الحدود الشمالية الشرقية للجزيرة العربية اهتماماً من الدارسين بعكس ما لقيته الحدود الجنوبية الشرقية التى أفرد لها كلى Kelly دراسة خاصة بعنوان :
The Eastern Arabian Frontiers, London, 1965.

ولعل إثارة المشكلة الخاصة بالبوريمى كانت دافعاً لمزيد من الدراسات وإعلان كل من الحكومة السعودية والحكومة البريطانية رأيهما بشأن هذه المشكلة .

أنه على الرغم من أن الحكومة البريطانية كانت تبدى شدة اهتمامها على أن تظل الشروط الواردة فى الاتفاق الانجليزى التركى نافذة من قبل الأمير عبد العزيز ، وكانت تحرص فى مناسبات كثيرة على تذكيره بتلك الاتفاقية إلا أنها من ناحية أخرى كانت تتعمد تجاهلها بالنسبة لعلاقتها مع شيوخ الكويت متعللة بأن هذه الاتفاقية قد ألغيت بمقتضى المادة السادسة من اتفاقية دارين الموقعة بين بريطانيا والأمير عبد العزيز فى عام ١٩١٥ .

وليس لدينا من تحليل لهذه الملاحظة غير أن بريطانيا كانت تقصد من وراء ذلك وضع حد للتوسع السعودى فى سواحل الخليج فى نفس الوقت الذى لا تتيح فيه لإمارة الكويت التمسك بالحدود المقررة لها فى تلك الاتفاقية وبذلك تعطى لنفسها الحرية الكافية فى وضع ما تراه من تسويات على حساب إمارة على أخرى كما حدث بالفعل فى تخطيطها للحدود المشتركة بين الكويت ونجد والعراق وبهذه المناسبة قدمت الحكومة البريطانية تبليغاً إلى الشيخ سالم فى ٩ يوليه ١٩٢٠ بإبطال اتفاقية ١٩١٣ ورد سالم على هذا التبليغ بإعلان استنكاره لإبطال مفعول الاتفاقية التى كانت تطالب بها إمارة الكويت .

وعلى أثر اشتداد غارات السعوديين على الكويت أبدى الأمير عبد العزيز فى مقابلة تمت بينه وبين السير برسى كوكس المندوب السامى فى العراق[1] أن تساعده الحكومة البريطانية فى ضم الكويت إلى مقاطعاته مشيراً إلى الاقتراح الذى سبق أن أدلى به فيلبى قبل ذلك بعدة سنوات . ولكن الحكومة البريطانية رفضت هذا الاقتراح كلية ولا يعرف السبب الحقيقى لذلك الرفض وإن كان البعض يعلله باحتمال وجود النفط بالكويت ورغبة الحكومة البريطانية أن تتمتع بالامتيازات التى تعهدت الكويت بها . وفضلا عن ذلك فإن السياسة العامة للحكومة البريطانية كانت تفضل وجود وحدات سياسية صغيرة لأن وجود هذه الوحدات أدعى إلى بقائها مسيطرة عليها لأطول فترة ممكنة .

ولم تلبث أن تصاعدت الأزمة الكويتية النجدية بقيام غارة واسعة النطاق قام

---

(١) راجع مقابلة العقير بن السير نرسى كركس وعبد العزيز بن سعود فى حسين خلف تاريخ الكويت السياسى — ج ٣ ٢٥٧ .

بها الأخوان على قرية الجهرة ومحاصرة الشيخ سالم فى القصر الأحمر[١] . وعرض فيصل الدويش شروط الصلح بعد اتهامه أهالى الكويت بمروقهم عن الإسلام ومطالباً بضرورة هدم المستشفى الأمريكى وإخراج القنصل البريطانى من الكويت إلى جانب ترحيل الشيعة من الكويت .

ورد سالم مستنكراً الشرط الأول ومبدياً استعداده لإزالة ما يمكن من فساد بينما رفض الشروط الأخرى . ولا شك أن سالماً اعتمد فى رفض شروط الدويش على موقف الحكومة البريطانية المؤيدة له ، ذلك أن الاتصالات الرسمية دارت بين المعتمد البريطانى فى الكويت وبين المندوب السامى فى بغداد والمقيم السياسى فى الخليج وتمدت هذه الاتصالات حكومتى الهند ولندن التى اتفقتا على إرسال قوات بحرية وجوية بهدف حماية الكويت . وبالفعل أبلغ الدويش بأن الحكومة البريطانية باسطة حمايتها على الكويت وأن الذين يحاولون الهجوم عليها يعرضون أنفسهم لقذف الطائرات والسفن الحربية البريطانية[٢] .

وليس هناك شك فى أن غزو الدويش كانت بناء على وامر من عبد العزيز آل سعود ويفهم ذلك من رد الدويش على الإنذار البريطانى من أن التحركات التى يقوم بها إنما هى بتكليف ابن سعود . ومع ذلك فقد اضطر الدويش إلى الإنسحاب إزاء الموقف الصارم الذى وقعته الحكومة البريطانية حماية الكويت[٣].

وحاول المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت ، منتهزاً فرصة الاضطرابات التى وقعت بين نجد والكويت تسويه الحدود فيما بينهما ، إلا أن الكويت أصرت

---

(١) سيف مرزوق الشملان — من تاريخ الكويت ص ١٨٦ وكذلك عبد العزيز الرشيد تاريخ الكويت — الجزء الثانى ص ٢١٦ .

(٢) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ماضيها وحاضرها ج ٢ ص٢٢٩ بيروت ١٩٥٧ .

(٣) راشد عبد الله الفرحان — مختصر تاريخ الكويت وعلاقته بالحكومة البريطانية والدول العربيه — ص ٩٢ — القاهرة ١٩٦٠ .

على الاعتراف بحدودها من جزيرة العمار جنوباً قرب انطاع وإلى جهرة والليابة واللصافة الى حكر الباطن وشمالا إلى جبل سنام وسنام وسكوان وأم القصر وأن يكون كل من حاكم نجد والكويت مسئولا مسئولية مباشرة عما يجرى فى حدوده من تعديات البدو القاطنين ، وأن يكون للعشائر البادية الحرية التامة فى الانضمام الى تبعية أى حاكم يرونه أقدر من غيره على حمايتهم وأن تكون هناك ضمانات كافية لحرية التجارة ، وإذا حدث نزاع بين البدو فالفصل فيه من سلطة الحاكمين إلا إذا عجزا عن التوفيق فيرجع الأمر إلى وكلاء الحكومه البريطانية .

على أن وفاة الشيخ سالم ، والذى عرف بعدائه لعبد العزيز بن سعود ، أدى إلى توقف ابن سعود عن معاداته للكويت ، ولكنه لم يلبث أن وجه إليها ضربة اقتصادية بالغة الخطورة حينما عاد إلى تشديد عمليات الحصر الاقتصادى عن التعامل مع الكويت وقصر المعاملات التجارية على جمارك جبيل والعقير وتعلل ابن سعود بعدم استفادته من الضرائب التى ينبغى أن تفرض على رعاياه الذين يتعاملون مع الكويت فى الوقت الذى هو فى أشد الحاجة إلى أموال يستعين بها فى تثبيت مركزه فى الحكم . وفى عام ١٩٢٢ كانت الفرصة مناسبة كى تدخل بريطانيا لتضع تسوية بين الكويت ونجد والعراق وقد تم ذلك بموجب مؤتمر العقير . ويهمنا من ذلك المؤتمر التسوية التى توصلت إليها بريطانيا بالنسبة للكويت وقد شملت ما يأتى :

أولا — تعيين الحدود الجنوبية لإمارة الكويت .

ثانياً — تعيين حدود الإقليم المحايد فى الجنوب بين حدود الكويت الجنوبية وحدود الإحساء الشمالية .

ثالثاً — الاتفاق على أن يمارس كل من حاكمى نجد والكويت حقوقاً متساوية ، وفى حالة اكتشاف البترول يقتسم دخله مناصفة ويتم التقاضى بواسطة مجالس عرفية مختلطة يقوم كل حاكم بتعيين عدد من أعضائها .

لم تظهر الحكومة ارتياحاً للقرارات التى فرضها مؤتمر العقير ، وأكد الشيخ أحمد الجابر أن الكويت فقدت أكثر من ثلثى المقاطعات التى كانت تطالب بها ،

كما فقدت عدداً كثيراً من قبائلها[١] ومع ذلك فقد اضطرت الكويت أن توقع على هذه المعاهدة التى لم تكن فى حقيقتها إلا واحدة من التسويات التى فرضتها بريطانيا على العالم العربى فى أعقاب الحرب العالمية الأولى[٢] . ومما يزيد من قوة اعتراض الكويت على الحدود التى التزمت بها بموجب قرارات مؤتمر العقير أن المعتمد السياسى البريطانى فى الكويت هو الذى كان يمثل الكويت فى هذه المحادثات[٣] ، وفيما يبدو أن الكويت اضطرت إلى التوقيع على هذه المعاهدة إزاء تجدد الغزوات السعودية على حدود الكويت . ولا شك أن توتر هذه العلاقات وشعور شيخ الكويت بالحاجة إلى تأييد بريطانيا قد أدى إلى أن تحتفظ الحكومة البريطانية بنفوذها فى الكويت وأن تكتسب فيها امتيازات جديدة كما حدث فى أكتوبر ١٩٢٥ حينما وافق شيخ الكويت على أنه يكون القضاء فى شئون الرعايا الانجليز وسائر الأجانب غير المسلمين وفقاً للنظام البريطانى وأن تختص به القنصلية البريطانية[٤] .

أما اتفاقية العقير فقد تضمنت فى الجزء الخاص بنجد والكويت على تخطيط الحدود بينهما فنصت على أن تبتدىء حدود نجد والكويت من ملتقى وادى العوجا بالباطن على أن تكون الرقعى (وهى مورد ماء) تابعة لنجد ومن هذه النقطة تمتد على خط مستقيم إلى حيث تلتقى بخط ٢٩ من خطوط العرض وبنصف الدائرة الحمراء المشار إليها بالمادة الخامسة من الاتفاقية الانجليزية التركية المؤرخة فى يوليه

---

(١) من أهم هذه القبائل قبيلة العوازم التى كانت تقيم بادية الكويت ثم اقتطعها الأمير عبد العزيز وفى الكويت جماعات متحضرة من هذه القبيلة .

أنظر — مجلة الكويت — المجلد الأول ص ١٥٧ محرم ١٣٤٧ هـ .

(٢) انظر دراستنا عن المؤتمرات السياسية للحرب العالمية الأولى على إمارات الخليج العربى — مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية — العدد ١٥/١٩٦٩ .

(٣) Philby, Sa'udi Arabia, p. 284, see also John Marlowe, The Persian Gulf in the 20th Century, p. 75 ff., London, 1965.

(٤) ألغى هذا الامتياز عام ١٩٦٠ انظر دليل الكويت — القسم الأول — الكويت بين الماضى والحاضر ص ١٩٦١ .

١٩١٣ . وكان متفقا على أن هذه الدائرة الحمراء مركزها قلب مدينة الكويت ونصف قطرها أربعون ميلا ، وهذا الخط يستمر إلى الجانب من نصف الدائرة حتى يصل إلى النقطة التى تنتهى عند الساحل جنوب رأس ، وهذا الحد الجنوبى يكون للكويت دون منازع .

أما بقعة الأرض المحددة شمالا بهذا الخط والتى يحدها غربآ ضلع من الأرض يسمى الشق وشرقا وجنوبا خط يمر غربا بشرق من الشق إلى عين العبد ومنها إلى الساحل شمالا إلى رأس المشعاب فهذه الأراضى تعتبر مشتركة بين حكومة نجد والكويت لهما فيها الحقوق المتساوية إلى أن يتفق اتفاقا آخر بين نجد والكويت بخصوصها بمصادقة الحكومة البريطانية[١] .

وعلى الرغم من أن اتفاقية العقير كان يهدف بها أساساً إقرار الأوضاع بين كل من الكويت ونجد والعراق إلا أن السنوات التالية لتوقيع هذه الاتفاقية شهدت استمرار الإغارات على حدود الكويت وكان مبعثها هذه المرة غارات من قبل الإخوان . ولا يستدل من المصادر التى تناولنا أن عبد العزيز كان له دخل فى هذه الإغارات الجديدة وإنما الثابت لدينا أن حركة الإخوان مرت بدورين رئيسيين الدور الأول ، استغلهم فيه عبد العزيز لتوسيع ملكه وكانوا فى هذا الدور يعملون لحسابه . أما الدور الثانى ، والذى يمكن أن نحدده بمؤتمر العقير فيسجل انقلاب الإخوان على الأمير عبد العزيز بعد أن توسع فى ملكه ووجدهم يعارضون اصلاحاته والتطورات التى أخذ يدخلها على الدعوة الوهابية استجابة لمتطلبات الدولة الحديثة .

وقد اعتقد الإخوان أنهم جند عبد العزيز وأنه لا يستطيع أن يتحرك بدونهم[٢]

---

(١) راجع النص الكامل لاتفاقية العقير الخاصة بتعيين الحدود بين الكويت ونجد فى كتاب عبد الله الفرحان مختصر تاريخ الكويت وعلاقته بالحكومة البريطانية وبالدول العربية ص ١٣٤ — القاهرة ١٩٦٠ .

(٢) يمكن الرجوع إلى حركات الإخوان على الكويت — إصدار عبد العزيز الرشيد الجزء العاشر من المجلد الثانى محرم ١٣٨٤ — ص ٢٧ — ٢٨ .

وفى العام التالى لتوقيع اتفاقية العقير (١٩٢٣) تزعم فيصل الدويش غارة من الإحساء إلى الحدود الجنوبية للكويت . ولم يجد الشيخ أحمد الجابر بعد أن وصلت قواته متأخرة وبعد أن حدث اعتداء على المقاطعات الجنوبية إلا أن يبعث لعبد العزيز يشكو إليه تلك الأعمال العدوانية بعد أن أحدثت هذه الإغارات رد فعل شديد على سكان الكويت الذين بادروا إلى إعادة بناء السور وترميمه بهدف حماية إمارتهم من خطر الإغارات .

ورد الأمير عبد العزيز على الشيخ أحمد الجابر يعتذر له عن هذا الهجوم كما أكد للمعتمد السياسى البريطانى فى الكويت أن هـــذه الغارة قام بها جماعة من الإخوان الخارجين عليه ، وأنهم فى تحركاتهم يخالفون أوامره وأنه غير مسئول عن أعمالهم . وقد أكد ديكسون فيما بعد أن الإخوان كانوا فى توسعاتهم يتصرفون ضد رغبات الأمير عبد العزيز بل وبتحد لأوامره . وفى عام ١٩٢٨ أكدت البعثة التى أوفدها الشيخ الكويت إلى ابن سعود بعد غارة عنيفة تعرضت لها الإمارة أسف الأمير ابن سعود ورغبته الجادة فى رد الأسلاب التى استولى عليها الإخوان إلى الكويت . وأبلغ الأمير عبد العزيز البعثة الكويتية أنه أصدر أوامره بإعداد قوة عهد بقيادتها إلى أحد أبناء عبد الله بن جلوى حاكم الإحساء ضد الإخوان بهدف استعادة الأسلاب إلى شيخ الكويت . غير أنه فى العام التالى ١٩٢٩) بدأت قبائل العجمان تحرز تقدماً واسع النطاق ، وذلك بإغاراتها على قبائل المتفق القاطنة فى شمال الكويت واتجاهها إلى التقارب مع الكويت ضد عبد العزيز بن سعود . ولا شك أن الكويت كانت تأمل بتحالفها مع هذه القبائل الثائرة على الحكم السعودى فى الإحساء الحصول على مكاسب إقليمية وقبلية ، أو على الأقل تقويض اتفاقية العقير التى لم تخرج منها الكويت بكسب يذكر . ومما يوضح لنا أن شيوخ الكويت كانوا راضين عن العلاقات الودية بينهم وبين العجمان تغاضى حكام الإمارة عن عمليات التعامل التجارى الذى كان يقوم به تجار الكويت مع هذه القبائل مما كان مبعثاً لاستياء الأمير عبد العزيز ولتدخل المعتمد البريطانى فى الكويت . ولم يجد الشيخ أحمد الجابر مفراً إزاء ذلك إلا أن يعود إلى تأكيد تعهداته قبل بريطانيا بعدم التقارب مع القبائل المعادية لابن سعود . ولم يلبث بعد ذلك أن وصل فيصل الدويش إلى شمال الإحساء ودعى الشيخ أحمد الجابر للانضمام لحركة ضد ابن سعود ولا شك أن زعيم

الإخوان كان يقدر جيداً استياء شيوخ الكويت من اتفاقية العقير ولذلك رأى أن يستعين بهم لتوسيع نطاق ثورته ضد ابن سعود . ومما يؤكد لنا ذلك أنه دعى بالفعل الشيخ أحمد الجابر إلى الانضمام إليه فى ثورته بهدف استرداد المقاطعات الكويتية التى انتزعت من الكويت بمقتضى قرارات مؤتمر العقير ، كما أتبع خطابه هذا بطلب صريح وهو أن يسمح له شيخ الكويت بالتمركز بقواته فى الصبيحية ويأتى إلى الكويت ليشرح خططه على أن تقدم له الكويت ما تحتاجه من مدد ومؤن[1] .

ولا شك أن عروض الدويش قد أحدثت ارتياحاً فى الكويت ووجد الكثيرون من أهالى الكويت أن الفرصة سانحة للتخلص من قيود اتفاقية العقير ، والعودة بالحدود الطبيعية للكويت . ولكن الحكومة البريطانية سارعت بإصدار تعليماتها إلى الشيخ أحمد الجابر ألا يستجيب لهذا العرض وأن يمنع الدويش وأتباعه من عبور الحدود بين الإحساء والكويت . ويقرر ديكسون الذى عاصر تلك الأحداث أن الشيخ أحمد استمر على وعوده لبريطانيا على الرغم من قوة الإغراءات التى قدمها إليه الدويش فى أن ينتزع من السعوديين ممتلكاته المسلوبة فى الجنوب ، واسترداد زعامته على العوازم وعجمان ومطير وقد طلبت الحكومة البريطانية من الشيخ أحمد الجابر ، إزاء سيطرة الإخوان على المنطقة من شمال نجد من جل شمر إلى سواحل الخليج وتمركزهم فى المنطقة المحايدة بين الإحساء والكويت ، بألا يسمح بأى تعامل مع زعماء الإخوان ، وأن يصد قواتهم فى حالة هجومهم على الكويت .

وعلى الرغم مما كان ينتظر من تحالف بين الشيخ أحمد الجابر والإخوان من إتاحة الفرصة للكويت لتحقيق مكاسب خاصة بها أو على الأقل استرداد ما كان لها من ممتلكات انتزعت منها إلا أن هذا التحالف لم يكن من المتوقع له النجاح ويرجع ذلك فى تقديرنا إلى عاملين :

أولهما — العداء التقليدى بين الكويت والإخوان نتيجة لإغاراتهم السابقة على الكويت و[illegible] الأهالى

---

(١) Dickson, Kuwait and her Neighbours, pp. 307-308, London, 1956.

وثانيها — الضغط البريطانى .

وإزاء رفض الكويت التعاون مع فيصل الدويش تعرضت الكويت لرد فعل شديد قام به الإخوان على حدودها الجنوبية المتأخمة للاحساء فى ٣٠ أغسطس سنة ١٩٣٠ مما دعى إلى تدخل ديكسون المعتمد السياسى فى الكويت الذى دعى الدويش إلى مقابلته حيث طلب منه الإنسحاب بقواته على الفور ، ولكن الدويش ذكر أنه ليس فى نزاع مع الانجليز وأنه وقبيلته مطير يتبعان شيخ الكويت ، كما حاول أن يحصل على حق اللجوء فى الكويت إزاء تعرض قوته للانهيار نتيجة لموقف الحكومة البريطانية التى تتردد فى استخدام القوة لوضع نهاية لحركته . وقد طلب فيصل أن يسمح لأتباعه بالا كتيال من الكويت وأنهم يودون العودة إلى ولائهم للكويت .

وعلى الرغم من أن الدويش وغيره من زعماء مطير والعجمان أعلنوا استسلامهم للسلطات البريطانية فى الكويت إلا أن ديكسون رأى تسليم زعماء الإخوان للأمير عبد العزيز بن سعود بعد أن توسط لديه فى الترفق بمعاملتهم والحصول منه على تأكيد بألا يواصل إدعاءاته على مقاطعات الكويت والعراق نظير الموقف الذى وقفته الحكومة البريطانية تجاهه إزاء هذه الثورة التى كانت تهدد ممتلكاته بالضياع .

ونظراً لموقف الكويت المحايد ، وهو موقف لا شك أنه فرض عليها خلال ثورة الإخوان ، تسلم الشيخ أحمد الجابر فى عام ١٩٣٠ نيشاناً ووعداً من قبل الحكومة البريطانية بأن تبذل كافة مساعيها لكى يزيل عبد العزيز بن سعود جميع القيود التى فرضها على المعاملات التجارية بين نجد والكويت . ويؤكد ديكسون بصدد ذلك أن الموقف المحايد الذى وقفته الكويت خلال ثورة الإخوان كان عوناً رئيسياً لقمع هذه الثورة ويرى بصدد ذلك أن بريطانيا أسدت إلى ابن سعود جميلا وذلك بإبقائها كلا من الكويت والعراق على الحياد خلال هذه الأزمة(١) .

---

(١) Dickson, op. cit., p. 326.

وبالفعل استمرت الحكومة فى بذل وساطتها لإقرار العلاقات بين الكويت والسعودية وتحقق ذلك فى عام ١٩٣٧ حينما أعلن الملك عبد العزيز بن سعود رفعه جميع القيود على تجارة رعاياه[١] وتمهد الطريق فى عام ١٩٤٠ لعقد اتفاقية بين الكويت والسعودية حينما ذهب الشيخ حافظ وهبة وزير الخارجية السعودية إلى الكويت لحل هذا النزاع الذى طال عليه الأمد وبعد مفاوضات بين الشيخ والوكيل السياسى بالكويت استمرت قرابة أسبوعين وقعت ثلاثة اتفاقيات هامة بين البلدين وهى معاهدة صداقة وحسن جوار ومعاهدة تجارية ومعاهدة ثالثة لتبادل تسليم المجرمين[٢].

وبعد عامين من توقيع تلك المعاهدات تبودلت مذكرتان رسميتان فى ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٢ بشأن تبعية القبائل للكويت والسعودية بين الشيخ يوسف ياسين والسير بيرو لفوض البريطانى فى جدة جاء فيهما أنه حيث توقعت السعودية فى تدوين اتفاقية الصداقة وحسن الجوار فيما بين البلاد العربية والسعودية والكويت فقد استقر التفاهم على تحديد القبائل التابعة للسعودية والتابعة للكويت . أما فيما يتعلق بمسألة ما إذا كانت أية من هذه القبائل تتبع الكويت فهذا أمر يسوى بين السعودية الكويت ، وفى حالة عدم التوصل إلى اتفاقية من هذا القبيل فيمكن أن يتم ذلك عن طريق لجنة مشتركة تعين فى وقت تتفق عليه الحكومتان[٣] .

والملاحظ أن العلاقات الودية بدأت تسير على وئام بين الكويت والسعودية خاصة بعد توقيع المعاهدة الدفاعية بين البلدان ١٩٤٧ ولاشك أن اكتشاف البترول فى كل من الكويت والسعودية وتصديره على نطاق واسع قد أزال الخلاف الاقتصادى التقليدى بين الكويت والسعودية والذى لاحظناه خلال عرضنا السابق .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٣١ .

(٢) دليل الكويت — الباب الأول — الكويت بين الماضى والحاضر ص ١١ .

(٣) راجع فى ذلك المذكرتان المتبادلتان بين الشيخ يوسف ياسين وزير الخارجية السعودية وبين السير ه.و استوتهيوربيرد لفوض البريطانى فى جدة فى ٢٠ أبريل سنة ١٩٤٢ فى المجلد الثانى من وثائق الحكومة السعودية الخاصة بالتحكيم لتسوية النزاع الإقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية جـ ٢ — ص ٦٥ و ١٩٦٧ .

ومع ذلك فان اكتشاف البترول فى المنطقة المحايدة دفع الدولتان إلى محاولة الوصول إلى اتفاق جديد بشأن تبعية بعض الجزر وملكيتها للسعودية أو الكويت فى نطاق المنطقة المحايدة، وقد بذلت محاولة من ذلك النوع فى عام ١٩٥١ وتجددت المباحثات بين مندوبى السعودية ومندوبى الكويت فى أبريل ١٩٦١[1] غير أن هذه المباحثات لم تصل إلى نتيجة إيجابية حتى وقتنا الحاضر (١٩٦٨) .

الدكتور جمال زكريا قاسم

---

(١) حافظ وهبة شبه جزيرة العرب فى القرن العشرين ص ٨٩ .

مصادر البحث

أولا ـ وثائق غير منشورة :

Public Record Office
— Turkish Jurisdiction along the Arabian Coast of the Persian Gulf, F.O. 785108.

— Memorandum Respecting Koweit, F.O. 7815174.

India Office Political and Secret Library,
— Political and External Files, vol. 20, File 1508.

India Office Political and Secret Department, Letters from the Persian Gulf, vol. 18.

ثانياً ـ وثائق منشورة :

— Aitchison, C.U., A Collection of Treaties, Engagements and Sands relating to India and Neighbouring Countries, vol. X, Persian Gulf, Calcutta, 1892.

— British Intelligence Service, A Handbook of Arabia, vol. I, General, London, 1916.

— Gooch and Temperly, British Documents on the Origins of War, 1898-1914, vol. X, Part II, London, 1938.

Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, 2 vols.

وثائق سعودية :

التحكيم لتسوية النزاع الإقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية — عرض الحكومة السعودية — ٣ مجلدات — القاهرة ١٩٥٧ .

ثالثاً ـ المصادر العربية :

— ابن بشر (عثمان) ، عنوان المجد فى نجد — القاهرة ١٣٤٩ .

— أحمد مصطفى أبو حاكمة ، تاريخ الكويت — الجزء الأول — إصدار لجنة تاريخ الكويت — الكويت ١٩٦٧ .

— لمع الشهاب فى سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، (مجهول المؤلف وتحقيق أبو حاكمة) — بيروت ١٩٦٧ .

— البصرى (عثمان بن سند) سبائك العسجد ، بومباى — ١٣١٥ .

— بيرين (جاكلين) ، اكتشاف جزيرة العرب (مترجم) — بيروت ١٩٦٢ .

— جمال زكريا قاسم ، الخليج العربى — دراسة لتاريخ الإمارات العربية — القاهرة ١٩٦٧ .

— المؤثرات السياسية للحرب العالمية الأولى على إمارات الخليج العربى ، دراسة منشورة فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية — العدد ١٥ — القاهرة ١٩٦٨ .

— حافظ وهبة ، شبه جزيرة العرب فى القرن العشرين — القاهرة ١٩٥٦ .

— حسين خلف الشيخ خزعل ، تاريخ الكويت السياسى — ٤ أجزاء .

— حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام — وتوجد نسخة مصورة بدار الكتب المصرية .

— راشد عبد الله الفرحان ، مختصر تاريخ الكويت وعلاقته بالحكومة البريطانية والدول العربية — القاهرة ١٩٥٩ .

— سيف مرزوق الشملان ، من تاريخ الكويت — القاهرة ١٩٥٩ .

— عبد الله الخاتم ، من هنا بدأت الكويت — دمشق .

— لوريمار ج . ج ، دليل الخليج (مترجم) — ٧ مجلدات — حكومة قطر — الدوحة ١٩٦٧ .

— صلاح الدين المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها فى جزئين — بيروت ١٩٥٧ .

— صلاح العقاد ، التيارات السياسية فى الخليج العربى — القاهرة ١٩٦٦ .

— يوسف بن عيسى القناعى ، صفحات من تاريخ الكويت — القاهرة سنة ١٩٤٦ .

رابعاً ـ المصادر الأوربية :

— Blunt, Lady Année, A Pilgrimage to Nejd, The Cradle of Arab Race, 2 vols., London, 1881.

— Brydges, Harford Jones, An Account of the Transactions of His Majesty's Mission to the Court of Persia in the years 1810-1811, to which is appended a brief history of Wahhaby, 2 vols., London, 1834.

— Dickson, H.R.P., Kuwait and her Neighbours, London, 1956.

— Graves, Philip, The Life of Sir Percy Cox, London, 1931.

— Kelly, J.B., Britain and the Persian Gulf, London, 1968.

— Neibuhr, Carsten, Travels through Arabia and other Countries in the East, 2 vols., Edinburgh, 1792.

— Rouire, M., La question de Golfe Persique, Le règlement de questions de Mascate et de Koweit, Revue des deux Mondes, cinquième période, tome XVII, Paris, 1903.

خامساً ـ الدوريات :

مجلة الكويت — إصدار : عبد العزيز الرشيد — الكويت .

مجلة الشرق — إصدار لويس اليسوعى — بيروت .

دليل الكويت — دليل شامل أصدرته غرفة تجارة وصناعة الكويت عن دولة الكويت .